

الدعوة السلفية
وموقفها من الحركات الأخرى

للشيخ عيد عباسي

الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى

للشيخ عيد عباسي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

الموضوع الذي ستحدث فيه هو عن الدعوة السلفية ، ما هي حقيقتها ، وما هو المراد بها ، ولحظة عن تاريخها ، ثم موقفها من الدعوات الأخرى بشكل إجمالي .

السلف والخلف :

الدعوة السلفية نسبة إلى السلف ، نص اللغة هم القوم المتقدمون والمراد بها في الاصلاح أهل القرون الثلاثة الأولى الخيرة التي جاء الثناء عليها عن رسول الله ﷺ بقوله « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعد ذلك ناس يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ويكثر فيهم الكذب » .

فهؤلاء بشهادة الرسول ﷺ أن هذه القرون الثلاثة خير القرون ولا شك أن هديهم وطريقتهم وسنتهم هي خير الهدى وخير السنة وخير الطرائق .

ويقابل السلف الخلف وهم الذين جاءوا بعد هذه القرون الثلاثة .

ونحن نعلم أنه قد اختلفت طريقة السلف عن الخلف في كثير من الأمور فقد ظهر بعد القرن الثالث أمور لم تكن ، وكان ذلك بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم ودخول الثقافات الأجنبية على الدولة الإسلامية ، فقد دخلت ثقافات النصارى الذين أسلموا وكذلك اليهود واليونان والهنود والفرس بعد الفتوحات الإسلامية الهائلة ، وهذه الثقافات أثرت في المسلمين مع الأسف وخاصة في الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم ، فقد انبهروا بها وحين أطلعوا عليها وهي شيء جديد عليهم أخذوا بها وذهلوا فأخذوا يعتنون بها وأخذ بعض الأمراء والحكام من الذين لم يفقهوا حقيقة الإسلام

ولم يهتموا للأمر وخطورته ، أخذوا يعطونهم الجوائز الكبيرة من أجل ترجمة كتب هذه الأمم الأجنبية إلى المسلمين .

ونحن نعلم أن النبي ﷺ قد نبه إلى خطورة ذلك ، وقد حذر منه ويكفيها في الدلالة على ذلك حديث عمر رضي الله عنه حينما كتب صحائف من التوراة فرآها عليه الصلاة والسلام فسأله عنها فقال أنه كان له صديق يهودي وأنه نسخ منه بعض صحائف من التوراة ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى والذي نفسي بيده لو أن موسى بن عمران كان حياً لما وسعه الا أن يتبعني . فهو عليه الصلاة والسلام يعلن أنه لا هدي إلا الهدي الذي جاء به عن ربه ولا يجوز لأحد أن يكون متبعاً وأن يكون اماماً وأن يكون قدوة وأن يكون مرضياً للاتباع ومأخوذاً عنه الهدي إلا رسول الله ﷺ . وهذا يشير إلى أنه لا يجوز للمسلمين أن يأخذوا دينهم ولا هدايتهم ولا إرشادهم ولا أخلاقهم ولا أي شيء من الأفكار والتصورات والقيم والسلوك من أي أمة أخرى . وما السبب في ذلك ؟

السبب أن الله عز وجل أرسل لهم الهدي كاملاً واختصهم بالفضل عاماً شاملاً فليسوا بحاجة إلى هدي آخر وليسوا بحاجة إلى إرشاد قول الآخرين ، وقد أخبرهم الله عز وجل أنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

فالذي يذهب إلى غير حديث الوحي الذي جاء به محمد ﷺ ، فانما يعتقد بطريق المفهوم أن هدي الرسول ﷺ غير كاف وأن هناك هدي آخر وخيراً آخر يمكن أن يلتزمه لدى الأمم الأخرى ، وهذا مؤداه الكفر وإن كان كثير لا يفقهونه .

فهذا النص وحده كاف في التحذير من اللجوء إلى طرائق الأمم الأخرى وهداياها في أفكارها وعقائدها وأخلاقها وقيمها . وبالطبع فإن هذا لا يشمل الأمور الدنيوية حتى يقول قائل إن الإسلام حجر على العقول وأنه ضيق على الأفكار لأن العلوم المختلفة هي عامة شاملة لدى الأمم الأخرى ، ولا يمكن أن نهمل أو أن نطرح ما يأتي به الأجانب وغير المسلمين من تفوق علمي ومن تقدم علمي حضاري في بعض العصور ، هذا صحيح فإن العلم الدنيوي غير خاص بالمسلمين والعقل الإنساني يعمل والأمم الأخرى تعمل وتنهج الحضارة والتقدم العلمي الدنيوي كما يقال هو متداول بين الأمم فيوم يكون الحظ لهذه الأمم ويوم لتلك ، وهي جميعاً تسير وتعمل وتبني هذه الحضارة المادية .

من ناحية العلم لم يخرج علينا الله سبحانه وتعالى أن نأخذ عنهم العلم الدنيوي المحض الاجتماعي الذي فيه مثلاً علم الزراعة ، علم الكيمياء ، علم الفيزياء ، علم الفلك ، ولكن بشرط أن لا يخالف شيء من هذه العلوم ومن هذه المبتكرات ما جاءنا به الإسلام الحنيف . لأن هناك من مبتكرات

العلم ومن نظرياته أموراً قد نجدها تخالف الإسلام فلا يجوز أن نقبلها لأن الإسلام حق لا يتطرق إليه الريب والشك ، أما هذه العلوم فهي انتاج البشر ، وهي من نتاج ناس يحتملون الخطأ والصواب ولا يخلون من أغراض ومن أهواء فلذلك اذا اصطدم النص الشرعي الواضح الصريح القطعي بنظرية علمية أو أفكار حديثة فيجب أن تكون ثقتنا بما جاء عن الله ورسوله لا ريب فيجب أن نقدمه على هذه الأمور التي انتجها الآخرون .

قلت لاحرج من قبول هذه العلوم بهذا الشكل وعمدنا في ذلك قول النبي ﷺ في الحديث المشهور وهو حديث تأييد النخل وخلاصته أنه ﷺ لما جاء المدينة وجد أهل المدينة يؤبرون النخل سألهم عما يفعلون فقالوا شيء اعتدنا عليه فقال لو لم تفعلوا لكان خيراً فتركوه فنقصت ثمرته فأخبر النبي ﷺ بذلك فيما بعد فقال « إذا حدثتكم عن أمر من أمور دينكم فخذوا به وإذا حدثتكم بأمر من أمور دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم » أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

اذن هناك أمران أو نوعان من الحكم أمور دينية تتضمن العقائد والأخلاق والأذكار والتصورات والقيم والثقافة والأدب فهذه يجب أن لا نقبلها إلا عن طريق اسلامنا ولا نأخذها إلا من طريق الوحي الصادق الصحيح الذي جاء به عليه الصلاة والسلام ، وهناك أمور دنيوية بحتة واجتماعية وعلمية فيجوز أن نأخذها منهم بل يجب لكن كما قلت في السابق ألا نأخذ ما يخالف ما جاءنا به الوحي الصادق عن طريق خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام .

مقدمة تاريخية :

نرجع إلى هذه الدعوة السلفية لنقول قد يقول البعض أنها دعوة طارئة وجديدة وأن أقدم من تنتسب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ثم ابن عبد الوهاب في العصر الحاضر وهذه فكرة خاطئة وانما الدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الصحيح نفسه ، دعوة الكتاب والسنة التي جاء بها محمد ﷺ ، وكانت خاتمة الدعات وآخر الشرائع وخاتم الأديان ، وانما لم تكن يطلق عليها ذلك لأنه لم يكن هناك حاجة ، فالمسلمون الأولون كانوا على الإسلام الصحيح ، فلم تكن هناك حاجة ، ولم يوجد داع لقول الإسلام السلفي أو الدعوة السلفية كما نقرب ذلك إلينا . مثلاً العلوم الأخرى علوم العربية ، كان الناس يتكلمون العربية الفصحى دون لحن ودون خطأ فلم يكن هناك حاجة إلى وضع قواعد النحو إلى اصطلاحات النحو واللغة والبلاغة لأنها كانت معروفة سليقة ، وكذلك الدعوة السلفية كان الناس عليها ولم يكن هناك شذوذ ولا انحراف ولكنها بدأت تظهر شيئاً فشيئاً عندما بدأت الأفكار الأخرى تظهر للوجود وعندما بدأت هذه الثقافات الأجنبية تؤثر في المسلمين فتتحرف بعضها وتزين لبعضهم أشياء تخالف الإسلام في العقائد وغيرها ، حين ذلك بدأ أئمة المسلمين من صحابة وتابعين ومن بعدهم ينهون إلى خطورة هذه الدخائل وإلى خطورة هذه المخلوطات ، فكانت تظهر وتشتد الدعوة شيئاً فشيئاً كلما زادت هذه المخلوطات وكلما زادت هذه الثقافات

التي تؤثر في المسلمين ، وكان من أبرز من ميز هذه الدعوة ووضحها بجلاء الامام أحمد بن حنبل حيث ظهرت فتنة خلق القرآن في زمانه وأريد حمل الناس جميعاً على هذه الفكرة المحدثه الباطلة فصمد ذلك الصمود المثالي ووقف ذلك الموقف الشجاع الرائع وكان معه جمهور المسلمين بقلوبهم وأرواحهم وكان أولئك المعتزلة في صف آخر مقابل لذلك فتميزت الدعوة السلفية وظهر الفرق بين الاتجاهين اتجاه الرأي وأصحاب الرأي وأصحاب تفضيل العقل على النقل الذين لا يعتدون بنصوص الكتاب والسنة ولا يعتدون بهدي السلف الصالح وبين من يجعل الأساس هدى السلف الصالح وهكذا أخذت تتميز الدعوة السلفية شيئاً فشيئاً كلما ازداد المسلمون بعدا عن دينهم الصافي الحقيقي وكلما أخذت الأفكار الأجنبية والثقافات الدخيلة على الإسلام تشتد .

وفي زمن شيخ الإسلام ابن تيمية كان ذلك قد استفحل وكانت الثقافات والأفكار الأجنبية قد تضخمت حتى صرف أكثر المسلمين فلم يبق الا قلة نادرة غريبة عن المجتمع هم الذين بقوا يحافظون على دعوة الكتاب والسنة ويتحلون بتقليد السلف الصالح فيحتذوا المصلحة الملحقة إلى توضيح هذه الدعوة وإلى تمييزها فكانت كتابات شيخ الإسلام رحمه الله الكثيرة الرائعة التي ميز فيها الاسلام الصحيح الذي كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه . كانت كتبه منارة لمن أراد الهداية وكانت فيصلا بين الحق والباطل وقد أقام الحجة على المخالفين بالمنظرات وبالمسائل وبالكتب وفي المجالس ولم يبق حجة لمعاند الا ما يكون بسبب العناد وما يكون بسبب الاستكبار .

فلذلك في زمنه ميزت وظهر هذا الاسم دعوة السلف ومنهج السلف وطريقة السلف وإن كانت قد استعملت هذه الكلمات قبله أيضاً وأظن قائل هذا البيت المشهور في العقائد عن مذهب السلف :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من خلف

أظنه قبل شيخ الإسلام ، هذه لفظة عربية فصيحة ظهرت في كلامهم لكن كما قلت توضحت وتأكدت أكثر في عهد شيخ الإسلام رحمه الله .

كما قلت أنه سيطرت الأفكار الصوفية على الناس وطرقها المختلفة وأفكار علماء الكلام والتعصب المذهبي والبدع في الدين والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وظهرت غربة الإسلام وظهر أنه بحاجة ماسة إلى أن يتبين وإلى أن يتوضح حتى يعرف الناس الحق من الباطل ﴿ لهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه ﴾ .

وقد تابع هذه الرسالة وهذه الدعوة تلاميذ الإمام ابن تيمية ، ابن القيم وابن كثير وغيرهم على مر العصور ، لكنهم كانوا محاربين مضطهدين ، مات منهم من مات في السجون وقتل من قتل ، وعذب من عذب ، وكانت الغلبة المادية في أكثر العصور للمخالفين ، وإن كانت الغلبة المعنوية

غلبة الحجة والبرهان لأهل السنة مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » .

لقد جدد هذه الدعوة في ناحية التوحيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في نجد حينما كانت في ظلام دامس وحينما كانت الوثنيات تسيطر على البلاد فتثقت بثقافة شيخ الإسلام وأخذ عنه وقرأ كتبه وأخذ ينشرها ويدعو إليها وناله من جزاء ذلك الأذى الكثير والحرب العوان ولكن كان أن وفقه الله عز وجل مع من أيده من الأمراء السعوديين الأوائل ، كان من ذلك أن ظهرت هذه الدعوة وأثرت في المسلمين ووصلت إلى بلدان كثيرة .

حقيقة الدعوة السلفية :

لن نخوض كثيراً في هذه التفاصيل التاريخية فلنتقل إلى حقيقة الدعوة السلفية ، لماذا ظهرت ؟ وما هي أفكارها ؟ وما هي أهم الأصول التي تركز عليها ؟ هناك أمور هامة وأصول أساسية تركز عليها الدعوة السلفية ، وهذه الأمور هي :

١ - التوحيد :

(أ) توحيد الربوبية :

مسألة التوحيد ، هذه المسألة أخطأ فيها جماهير المسلمين عامتهم وخاصتهم ، فقد شاع لديهم أن التوحيد الذي أمر الله به في كتابه وسنة نبيه هو الاعتقاد فقط بأن لهذا الكون خالقاً مدبراً ورازقاً يتصف بصفات الكمال ، وقد ملأوا كتبهم وأتعبوا أنفسهم في اثبات هذه الحقيقة مع أنه كما سمعتم من أستاذنا أكثر من مرة هذه الحقيقة فطرية مركوزة في النفوس وفي الأذهان ولا تحتاج إلى كثير اثبات ولا إلى جهد كبير ، فقد قال الله تعالى مثلاً ﴿ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ ، ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ، إن كل من ينظر إلى تاريخ البشرية على مر العصور ليجد أن كل البشر يؤمنون بإله خالق مدبر ، إلا قلة نادرة من الملحدين على مر العصور كانوا يسمون الدهريين قديماً ويسمون الآن ملاحدة أو زنادقة أو شيوعيين ، هؤلاء نسبتهم قليلة جداً بالنسبة لبقية البشر ، لا يقل قائل . إن الشيوعيين الآن هم سكان روسيا وسكان الصين وسكان الدول الشيوعية الأخرى الكثيرة ، لا يقل أحد هذا فان سكان هذه الدول أكثرهم مؤمنون بالله ، أكثرهم مثلاً نصارى أو يهود يؤمنون بالله ولكن الملاحدة منهم والشيوعيين هم قلة قليلة ، هم الحكام فقط والذين يسيرون الأمور من العسكريين وغيرهم ، هم أنصار الحزب الشيوعي لا غير أما بقية الشعب فتعلمون لهم كنائسهم ولهم عباداتهم ، وهم يجرون احصاءات بين الحين والحين ، أذكر آخر الاحصاءات أن الشيوعيين في روسيا نحو ستة أو سبعة ملايين فقط ، فإذا هم قلة ، مقيمة ستة أو سبعة ملايين ، أضف إليها البلدان الأخرى

سنة أو سبعة ملايين أخرى ، فيكونون خمسة عشر مليون ، عشرين مليون ، قل خمسين ، ما قيمتهم بالنسبة لباقي البشر الذين هم الآن حوالي نحو ثلاثة آلاف مليون نسمة .

إن عامة البشر وجمهير الناس على مر العصور هم مؤمنون بالله ، فإذا ماذا يحتاج هؤلاء ، ان أحوج ما يكونون إليه هو أن يؤمنوا بالله الإيمان الصحيح الذي جاءنا به محمد ﷺ والرسل السابقون ، انه هو الإيمان الذي يعتد به هو الذي ينجي صاحبه من الخلود في النار ، إنه طريق دخول الجنة ، إنه هو وحده الإيمان الصحيح وما عداه كفر .

والمشركون كلنا نعرف أنهم كانوا يؤمنون بإله خالق إلا قلة نادرة جداً ، أشار إلى ذلك القرآن حيث قال : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وبين سبب شركهم وضلالهم أنه اعتقاد الشفعاء والوسطاء بينهم وبين الله ﴿ ويدعون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ ، وفي شعر الجاهليين نجد كثيراً ذكر الإله والخالق ويقسمون به ويعظمونه لكنهم يعتقدون أن هذه الأصنام هي وسائط وهي مقربات لهذا الإله ودعوتها ووساطتها هي ضمان لأن يستجيب لهم هذا الإله دعائهم ويغيثهم إذا استغاثوا به .

فالدعوة السلفية تهتم بتبين التوحيد الصحيح الذي يكون الناس أحوج ما يكونون إليه وهو ما استخلصه العلماء المحققون من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أن هناك ثلاثة أنواع للتوحيد ، التوحيد الموضح سابقاً وقد اصطلاحوا عليه بأنه توحيد الربوبية أي الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً رازقاً متصفاً بصفات الكمال ، والنوع الثاني للتوحيد هو توحيد الألوهية والنوع الثالث هو توحيد الصفات ، هذه أسماء اصطلاح عليها هؤلاء الأئمة الأعلام ولكن مدلولها وحقيقتها موجود في ثنايا الكتاب والسنة وأن هؤلاء وضحوها وميزوها واصطلاحوا عليها لتتميز الأمور والحقائق ، وتوحيد الربوبية قلنا المراد به .

(ب) توحيد الألوهية :

أما توحيد الألوهية فهو أيضاً بصورة اجمالية أن يخص المسلم أنماط العبادة كلها لله عز وجل ، هذا الخالق المدبر الذي آمن به ، وهذا في الحقيقة أمر طبيعي فإذا كان الله هو الخالق المدبر الرزاق إلى آخره فلماذا يدعو غيره ولماذا يعبد سواه ، يعبد المخلوقين ، يعبد المحتاجين يعبد الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، كما يقول الشاعر : ومن قصد البحر استقل السواقيا .

هذا الإنسان العبد الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا كيف تدعوه وتترك ربك الذي بيده كل شيء الذي إذا أراد شيئاً

قال له كن فيكون هل هو قاصر ؟ هل هو لا يستجيب دعاءك ؟ هل هو بعيد ؟ هل هو ظالم حتى تخاف منه وتلجأ إلى سواه ؟ إنه رحيم برعباده رؤوف بهم يحيب دعوة المضطر إذا دعاه يقبل التوبة من عباده انه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته إليه ، إنه يفرح بتوبة التائب أشد من فرح الإنسان الذي كان في سفر وضلت راحلته ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه بعد ما أيقن بالهلاك ، هذا الإله العظيم الحكيم الرحيم لم تتركه وتلجأ إلى غيره من هؤلاء الآلهة الضعفاء العجزة الذين لا يملكون لأنفسهم موتاً ولا حياة ولا خيراً ولا نفعاً ، ولذلك فتوحيد الألوهية من أخص خصائص التوحيد ، وهو من أهم ما جاء به محمد ﷺ وهو في الحقيقة معنى قولنا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فكلمة لا إله إلا الله هي التي تدخل الإنسان في الإسلام وهي الكلمة الطيبة وهي التي قال عنها رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة » فقد علق دخول الجنة على من يقول هذه الكلمة مؤمناً بها مخلصاً من قلبه .

ما معنى هذه الكلمة هل هي الفاظ تقال هكذا دون فقه أو اعتقاد أو تطبيق ؟ ليس كذلك بل الشعور بحقائقها ، هذه الكلمة معناها الإله المعبود ، أله يأله أي عبد يعبد ، فلا إله إلا الله معناها لا معبود بحق إلا الله ، فإذا من ألصق معاني لا إله إلا الله توجيه وتخصيص العبادة كلها بأنواعها المختلفة لله عز وجل ، وكثير من المسلمين يجهلون العبادة فيظنون أن لا إله إلا الله هي عدم أداء العبادة والسجود لغير الله ، وهذا قصور في الفهم فهم يجهلون أن للعبادة معنى أشمل وأوسع من ذلك ، ان العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه ، العبادة تشمل أنواع التعظيم التي يجب أن تخص بالخالق الحكيم ، أنها تشمل الدعاء وتشمل النذر وتشمل الذبح وتشمل التوكل وتشمل الانابة وتشمل الاستعانة وتشمل الخوف والخشية والاستغاثة والرجاء والمحبة ، كل هذه الأنواع من العبادات وهؤلاء بجهلهم يظنونها مقصورة على الصلاة والحج مثلاً ، ويدل على ذلك نصوص كثيرة نذكر بعض أمثلة منها :

فالدعاء والاستعانة يقول الله عز وجل : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وتقديم المفعول هنا يراد به التخصيص ، إياك نعبد أي لا نعبد غيرك ، إياك نستعين يعني لا نستعين بسواك وهذا هو الفرق بين قولنا إياك نعبد وقولنا نعبدك ، فالأخيرة تحمل معنى نعبدك ولا مانع من أن نعبد غيرك ، فتقديم المفعول هنا أريد به التخصيص ، كذلك قوله عز وجل : ﴿ ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ فقابل بين ادعوني وان الذين يستكبرون عن عبادتي مبيناً أن الدعاء هو عبادة ويوضح ذلك قوله ﷺ الثابت « الدعاء هو العبادة » وهكذا الذبح في قوله تعالى ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ ونسكي أي ذبحي ، والنصوص الأخرى تشمل الخوف

والرجاء ﴿ وإياي فارهبون ﴾ ، ﴿ ولا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وما أشبه ذلك من النصوص القيمة .

هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد الذي يجهله كثير من المسلمين وتركز عليه الدعوة السلفية لأن من أخطأ فيه أو جهله أو اعتقد خلافه فهو مشترك ويحكم عليه بالخلود في النار إلا من لم تبلغه هذه الدعوة فأمره إلى الله ويعذره الله ويوضح مصيره الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره « انه يبعث اليه يوم القيامة رسول » إلى آخر الحديث المعروف .

(ج) توحيد الصفات :

النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي يجهله أيضاً كثير من المسلمين ويخالفون مضمونه ويشركون بالله فيه هو توحيد الصفات وهو اعتقاد أن أحداً يشارك الله في صفة من صفاته .

الله من صفاته أنه يعلم الغيب ، فحينما يعتقد انسان أن بشراً من البشر يعلم الغيب كما يعتقد الصوفية أن شيوخهم مكاشفون فيعلمون ما في نفسك ويطلعون على أحوالك لو كنت في مشرق الأرض وهم في مغربها فهذا بلا شك شرك في الصفات ، وكذلك حينما يعتقدون في بعض مشايخهم أنهم يقدرّون على كل شيء وأنهم يقولون للشيء كن فيكون ، كما ورد في بعض كتبهم وحينما يعتقدون صفات أخرى هي من أخص خصائص الله عز وجل في أوليائهم أو في مشايخهم أو في الأنبياء أو الرسل فانما هم يكونون قد أشركوا بالله عز وجل ، ومع الأسف هذا انتشر في كلام المتأخرين كثيراً . الشعراء منهم الذين يسمون المذاح للنبي ﷺ ، الذين كتبوا قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ويختصون بتلاوتها في الموالد والمناسبات الدينية ، هذه تكثر فيها هذه الصفات ونسبة هذه الأمور التي لا تجوز إلا لله ينسبونها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى مشايخهم وأوليائهم والرسول عليه الصلاة والسلام قد حذر كثيراً من هذا ، وقد أمر بعدم المبالغة في مدحه عليه الصلاة والسلام ، خشية من الوقوع في هذا الاطراء الخطير . قال عليه الصلاة والسلام مثلاً (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)

وحينما جاء بعض الناس وقالوا له أنت سيدنا وابن سيدنا ، قال لهم عليه الصلاة والسلام قولوا بقولكم هذا أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان فكلمة (سيدنا وابن سيدنا) الرسول عليه الصلاة والسلام وجد فيها شططاً ، لان ابن سيدنا فيها أن عبد الله والد رسول الله سيد لهم ، وقد كان مشركاً كما في الحديث المعروف فهذا من الشطط وقد حذرهم منه ، وحينما سمع بعض الجوارى والأولاد ينشدون وفينا نبي يعلم ما في غد نهاهم عن ذلك أيضاً وقال لا يعلم ما في غد إلا الله عز وجل ، فمع هذا التنبيه وهذا التحذير من النبي ﷺ خالفه الناس صراحة وقال قائلهم كالْبوصيري مثلاً :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
معنى البيت أنك لا تقل أن محمداً ابن الله وقل ما شئت فيه من أقوال ، وهذا واضح
ضلاله وواضح انحرافه وشططه .

فتوحيد الصفات من أخطر أنواع التوحيد التي جهلها كثير من المسلمين وخالفوها ،
ومعروف أن مسألة التوحيد هي الفيصل بين الاسلام والكفر كما قلنا ، فلو أن انساناً متعبداً
أعظم درجات التعبد ، يصوم النهار ويقوم الليل ويتصدق ، يزكي ويقوم بأنواع النوافل
المختلفة ويتقرب إلى الله يشقى القربات ويصل الأرحام إلى آخره ، لو أشرك في عمره مرة
واحدة استغاث بغير الله ، أو قال كلمة فيها وصف أحد المخلوقات بصفة الله ، فإن كل
عمله باطل ، وأنه خالد مخلد في النار إذا لم يتب من ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ لئن
أشركت ليحبطن عملك ﴾ فالمسألة مسألة خطيرة وخطيرة جداً ولذلك يوليها السلفيون
اهتماماً كبيراً ، ومن عجب أن باقي المشايخ والعلماء لا يدنون حولها بل يخاصموننا فيها ،
ويقولون ما فيها شيء والمسألة تتعلق بالنية ، فنية هذا الشخص انما يريد بها وجه الله ويريد
بها التقرب والتحبب وتعظيم هذا النبي وهؤلاء الأولياء ، مع أنهم يعلمون أن النية لا تشفع
للعمل مهما كان صالحاً فلا بد أن يكون العمل صالحاً والنية صالحة مصداقاً لقول الله
عز وجل ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾
لا يشرك أي لتكن نيته صالحة ، يعمل صالحاً أي موافقاً للسنة كما فسرنا بذلك الأئمة
والمفسرون مثل ابن كثير وغيره .

فإذاً يجب الاهتمام بمسألة التوحيد بأنواعه الثلاثة وخاصة النوعين الأخيرين اهتماماً
بالغاً لانقاذ الناس من الهاوية ومن الضلال .

٢ - مسألة الاتباع :

المسألة الثانية التي يركز عليها السلفيون هي مسألة الاتباع . مسألة طريقة أخذ الأحكام
وطريقة التفقه في الدين ، شائع لدى الناس وخاصة في العصور المتأخرة أن على كل انسان اذا بلغ
سن الرشد عليه أن يأخذ مذهباً من المذاهب الأربعة وهو مذهب والده مثلاً فيتفقه فيه ، ويلتزمه
ولا يخالفه في مسألة من المسائل ، ويقلده تقليداً ولا يسأل عن الدليل ولا يسعى للاجتهد ، فالاجتهاد
قد أغلق وليس أمامه إلا التقليد ، هذه المسألة أيضاً خطيرة وهامة ويخالف فيها السلفيون جمهور
الناس ، فهم يرون أن الأصل في التفقه في أحكام الصلاة الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة اتباعاً
لقول الله عز وجل ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ فالأصل إذاً
أخذ الأحكام من الكتاب والسنة لكن من المعروف أن الناس يتفاوتون في ذلك وأنه ليس في مقدور
كل انسان أن يأخذ من الكتاب والسنة وخاصة بعد فشو اللحن وبعد الناس عن لغة العرب وعن

السليقة العربية وعن الفطرة ، فأصبحوا غريبين عن لغة القرآن ولغة الحديث النبوي الشريف ، ولا شك أنه من المعروف من قواعد الشريعة أنه إذا لم يستطع الإنسان أمراً فإنه يكلف بما دونه ، فإن لم يستطع هذا الإنسان الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة ، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، كما قال تبارك وتعالى ، فينزل درجة من ذلك إلى الاتباع ، ومما نختلف فيه عنهم أنهم يقولون أنه لا اتباع ، فقط إما مجتهد وإما مقلد ، وهذه مكابرة ، وهذا هو في الواقع عناء لأنه مخالف لما هو مشاهد وما هو محسوس ، فأنت ترى في الناس من هو عالم قد بلغ من العلم شوطاً بعيداً ، فقد تفقه في لغة العرب وقد درس أصول الفقه ، وقد أخذ من الكتاب والسنة ، بل يجب عليه مباشرة ، وهناك من الناس غير هذا الانسان صنفين اثنين وإن كانا يتفاوتان فيما بينهما وفيما مراتب كثيرة ، هذان الصنفان هما ، عامة الناس الذين لا عناية لهم بالعلم ولا دراسة لهم بالدين ، فهؤلاء الذين يسمون مقلدين ، هؤلاء إذا قرأت عليهم الآية لا يفهمونها إلا ماندر من الآيات الواضحة الصريحة ، وإذا ذكرت لهم الحديث لا يفهمون معناه ولا يعرفون الطريقة التي يعرفون بها صحته من ضعفه ، فهؤلاء يكلفون أن يسألوا أهل العلم (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ولكن عليهم أن يبذلوا جهدهم أيضاً في اختيار أهل العلم الموثوقين الذين لا تعصب لديهم والذين هم ثقات في دينهم وعلمهم ، ومع ذلك فليس عليهم أن يلتزموا واحداً بعينه من هؤلاء وإنما عليهم كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ لم يحدد واحداً بعينه وإنما يكون ذلك حسب ما يتيسر ، تيسر له فلان ممن يثق في علمه ودينه فيسأله ، تيسر له آخر فيسأله ولا يضيق على نفسه ويحدد اتباعه أو تقليده بعالم معين .

هناك بين هذا المقلد وبين ذاك المجتهد ناس كثيرون لهم عناية بالعلم ، دراسة للغة ، دراسة للعلوم الشرعية القرآن والحديث والتفسير ، فهؤلاء لا نستطيع أن نقول أنهم مثل أولئك المقلدين ، انهم يختلفون عنهم وأنا نظلمهم حينما نسويهم بهم ، لا شك أن لهم فضلاً عليهم ولا يجوز أن نعاملهم مثلهم ، فإنهم إذا ذكرت لهم الآيات والأحاديث عرفوا معانيها وتفقهوا في أكثرها ، بالجملة قد تحفى عليهم بعض المعاني لكن إذا استعانوا ببعض العلماء يفقهونها ويفهمونها فهؤلاء عليهم أن يبذلوا جهدهم ، وجهدهم يحصل بأن يعرفوا الحكم الشرعي عن طريق عالم من العلماء ويعرفوا دليله الذي وصل به إلى الرأي الذي يتبناه ، هؤلاء يستطيعون هذا ، فكيف نساعهم ونسأهل معهم فنقول لهم يجب أن تقلدوا ، تسأل العالم ما هو حكم الشرع في هذا فيقول لك كذا وكذا ، أنت بإمكانك إذا ذكر لك الدليل أن تفقهه ، فلم تتنازل عن ذلك ولم تتساهل مع أنك في أمور الدنيا إذا كنت تاجراً مثلاً لا تكتفي بسؤال المختص بذلك سؤالاً عارضاً ومجملًا وإنما تدقق وتحاسب وتقارن وتسأل أكثر من واحد ، لم في أمور الدنيا تفعل ذلك وفي أمور الدين تتهاون وتتساهل ، هل أمر الدين أهون عندك من أمر دنياك ، إنك إن كنت كذلك فما أخسرك وما أضلك ، فلا شك أن هناك صنف من الناس وسط بين المقلد والمجتهد هو المتبع وهو الذي يستعين بعالم مجتهد بعد أن يفقه دليله ويسأله عن حجته ويقنع بها ويرجح من أقوال العلماء مما يراه أقرب لنفسه ، هذا هو

موقف السلفيين في مسألة أخذ الأحكام الشرعية ، وفي مسألة التفقه في الدين ، وفي اعتقادنا أنه الموقف الحق العدل الوسط ، الذي لا اسراف فيه ، ويفتري علينا المخالفون افتراءات باطلة ، نحن دائماً نكرر براءتنا منها ، يدعون أننا نكره الأئمة الأربعة وأننا نطعن فيهم ، وأننا نوجب الاجتهاد على كل مسلم ، وأننا نأمر كل أحد أن يكون مجتهداً عالماً لا يجوز له أن يقلد ، وهذا ظلم وافتراء طالما بينا بطلانه وبراءتنا منه ، ومع ذلك فلا يتقون الله ، ويصرون على نسبته إلينا ويشهد الله أننا منه براء ، كما يقال براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، مع أن كُتبت طافحة ببيان هذه الحقيقة ، فبعضهم مثلاً صور كتاباً ملاء وحشاه باثبات جواز التقليد والاستدلال على أن التقليد جائز وواجب على بعض الناس كل ذلك ليرد به على السلفيين ليوهم الآخرين أنهم ينكرون التقليد فهذا من الظلم الشنيع مع أنه قد بين له ذلك وأثبت له أن السلفيين يقولون بأن الجاهل عليه أن يقلد ومع ذلك يصرون على هذا ، وهذا يبين ما في نفوسهم من الضغينة والحقد والتحامل .

٣ - التزكية :

المسألة الثالثة هي مسألة التزكية النفسية والتصفية الروحية ، هذه المسألة قد شاع بين المتأخرين فيها طريقة المتصوفة ، هؤلاء الذين يعتمدون في تزكية النفوس على المجاهدات الروحية والوسائل النفسية ، وما أحدثه مشايخهم في أمور ادعوا أنها توصلهم إلى الله . وقد اعتمدوا فيها على غير ما جاءهم عن رسول الله ﷺ . هؤلاء المتصوفة كما يقال عنهم الحق يقال أن أول درجات التصوف ابتداء وآخره زندقة ، وأول ما يدخل الإنسان في الصوفية ، لابد أن يقوم ببعض البدع ، لأنه ما الذي يميز الصوفي عن غيره من أهل السنة ، أهل السنة يقتدون بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح ، فم يختلف الصوفي عنهم ، ان قالوا نحن على الكتاب والسنة قيل لهم فلماذا تختصون أنفسكم بطريق ، وأوراد ، ولماذا تختصون بنوع معين من الذكر وطريقة خاصة به ؟ لماذا تفرقون المسلمين ؟ فهذا شاذي وهذا رفاعي وهذا قادري وما إلى ذلك ، انه لا شك الحقيقة البينة الناصعة تدل على أنهم يبتدعون في دين الله ، فلا يكتفون بهدي الرسول ﷺ وهدى السلف الصالح وإنما يزيدون ما استحبوه لأنفسهم وما اضافوه إلى دينهم من أمور هو منها بريء وأمور هي ضلالات ، فلذلك فالطرق الصوفية السلفيون ينكرونها جملة وتفصيلاً .

وزيادة على ذلك الضلال الآخر وهم أنهم يعتقدون أن هناك طريقاً لمعرفة الغيب ومعرفة حقائق الأمور عن طريق الكشف ولا يرجعون فيه إلى ما جاءهم عن طريق الشرع ، ويجهلون التعلم ، وبعضهم أحرق كتبه وقال آخرون انكم تأخذون علومكم ميتاً عن ميت ونحن نأخذها عن الحي الذي لا يموت ، وهذا الذي يسمى نظرية الكشف من أبشع باطلهم ومن أضل الضلال وهو إذا نظر فيه الإنسان نظرة شاملة صحيحة يجده الغاء لكل ما جاءنا به الإسلام واستبدال ما جاء عن طريق الحدس والتخمين والأهواء والنظرات الشيطانية به ، وهذا خطر عظيم ما بعده خطر ، انه الكهانة ، يدعون أن الملائكة تأتيهم وتلهمهم ، وأن الله هو الذي يخبرهم ويلهمهم ، وما الدليل

على ذلك ؟ ما الذي يضمن أنه إلهام من الله وليس من نزغات الشياطين والأمور بنتائجها وتعلم من آثارها .

٤ - التحذير من البدع :

أيضاً لا يتسع المقام بالإضافة في ذلك فحسبنا أن نكتفي بهذا ، هذه أسس هامة ثلاثة للدعوة السلفية وهناك أمور أخرى تتصف بها ومن مبادئها وتركز عليها وهي التحذير من أمور البدع وما دخل على الدين من محدثات شوهدت جماله وكدرت صفاءه وعكرت ما كان عليه من جمال ونقاء ، هذه المحدثات دخلت على الدين فغيرت حكم الله وضللت الناس ، فالسلفيون يهتمون بتنبية الناس إليها ويحذرونهم منها ، والابتداع أمر ليس سهلاً ، ليس في المسألة كما يقال فرعيات ، لأن حقيقة الابتداع أنه استدراك على الله عز وجل وأنه تشريع بالرأي وبالعقل ، هذا الأمر يتعبد به ويتقرب به إلى الله عز وجل ، ما مستند ذلك انه الرأي والاستحسان ليس غير وهو ينسف آية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ من أساسها وغير ذلك من الآيات ، مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام حذرنا من البدع كثيراً وقال عليه الصلاة والسلام (إياكم ومحدثات الأمور) وجعلها في خطبه الحاجة التي يكررها كل أسبوع في خطبة الجمعة وغيرها من المجالس كل ذلك تأكيداً لخطورة البدع ولأهمية الالتزام بما جاءنا من الله ورسوله ومع ذلك فقد أصم هؤلاء الخلف آذانهم عن هذه الأحاديث البينة وعن نصوص الكتاب الواضحة وأصرّوا على البدع وزادوا فيها .

٥ - الأحاديث الضعيفة والموضوعة :

أمر آخر أيضاً يحذر منه السلفيون وينهون عليه وهو تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كانت عمدة كثير من البدع ، هذه الأحاديث شاع عند الناس ذكرها ، الخطباء والمدرسون والكتاب والمؤلفون ، تجد الكتب طافحة بنسبة الأقوال إلى الرسول ﷺ ، وهذه الأقوال يكون الرسول ﷺ منها براء ولا يتخرجون مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام ينبه إلى ذلك كثيراً ويحذر منه ويبين خطورته وأنه كذب عليه ، وقال كذب عليّ ليس ككذب أحدكم ، أي التحري في الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ ، مما لا يصح نستحل به الحرام ونستنبط منه الأحكام ، وهذا أيضاً أمر هام تقوم به الدعوة السلفية وتبين ما صح من الحديث مما لا يصح .

وهناك تمة لا يتسع المقام لذكرها وهو موقف السلفية من الدعوات الأخرى ، فلعل ذلك في موقف آخر ومجلس ثان إن شاء الله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

